الأحداث الكونية في سورة التكوير من منظور التفسير الشرعي والتفسير العلمي

(دراسة موضوعية)

إعداد :

د/ هبة الله بنت صادق بن سعيد أبو عرب

أستاذ مساعد بقسم علوم القرآن- كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية

جامعة جدة - المملكة العربية السعودية

الأحداث الكونية في سورة التكوير من منظور التفسير الشرعي والتفسير العلمي (دراسة موضوعية)

هبة الله بنت صادق بن سعيد أبو عرب

قسم علوم القرآن- كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية جامعة جدة - المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني : HABOARAB@uj.edu.sa

الملخص:

يهدف هذا البحث: إلى بيان المفهوم الاصطلاحي للتفسير الشرعي، والتفسير العلمي، وبيان أهمية التفريق بينهما، وعلاقة بعضهما ببعض.

كما أنه يهدف بصورة رئيسية إلى دراسة أبرز أهوال القيامة في سورة التكوير، والمتمثلة بالأحدث الكونية العظيمة التي ستحدث، مما سيشاهده الناس، أو ما سيحدث بعد خراب الأرض، وانكدار والشمس والنجوم، من خلال المنظور الشرعي، والعلم التجريبي، وبيان مذاهب المتقدمين من المفسرين - ومن وافقهم إلى وقتنا الحاضر، والمعاصرين من الباحثين -فيما يسمى- بالتفسير العلمي للقرآن الكريم، في تفسير هذه الأحداث الكونية.

وكذلك إيضاح مواضع الاتفاق، والاختلاف بينهما، والإشارة إلى مواضع القصور في المنهج العلمي الحديث المستعمل في تفسير هذه الآيات الكونية، وانعكاساته، وأسباب خروجه عن مقتضى التفسير الشرعي.

الكلمات المفتاحية: الأحداث الكونية. سورة التكوير. التفسير الشرعي. التفسير العلمي.

Cosmic events in Surat Al-Takwir from the perspective of legal interpretation and scientific interpretation (objective study)

Hibat Allah bint Sadiq bin Saeed Abu Arab
Department of Qur'an Sciences - College of the Noble Qur'an and Islamic Studies, University of Jeddah - Saudi Arabia
Email: HABOARAB@uj.edu.sa

Abstract:
This research aims: to clarify the idiomatic concept of legitimate interpretation and scientific interpretation, as well as to clarify the importance of differentiating between them and the relationship between them.
In addition, it aims mainly to study the most prominent horrors of the Resurrection in Surah At-Takwir, represented by the great cosmic events that will take place, from what people will see, or what will happen after the destruction of the earth and the decline of the sun and the stars, through the legitimate perspective, empirical science. As well as, it aims to clarify the doctrines of the former exegetes - and those who agree with them until the present time, and contemporary researchers - in what is called - the scientific interpretation of the Holy Qur'an, in the interpretation of these cosmic events.
As well as, it aims to clarify the points of agreement and difference between them and to point to the deficiencies in the modern scientific method used in the interpretation of these cosmic verses, its implications and the reasons for its deviation from the legitimate interpretation requirement.

Keywords: Cosmic events - Surah At-Takwir - Legitimate interpretation - Scientific interpretation.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، خلق كل شيء فأحسن صنعه، وأتقنه، وهدى كل مخلوق لمعاشه وألهمه، والصلاة والسلام علي النبي الصادق الوعد الأمين محمد وعلى آله، وأزواجه، وأصحابه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

إنه لمن البيان الإشارة إلى تنوع الاصطلاحات العلمية، سواء الشرعية، أو الاصطلاحات العلمية التجريبية التطبيقية، ومحاولة كثير من العلماء ضبط هذه الاصطلاحات بحيث تكون جامعة، مانعة لما احتوته من المضامين، غير إن الناظر إلى هذه المفاهيم، والاصطلاحات يعتريه الفضول، ويدفعه النظر –الفكر– إلى تتبعها، وهي في غالب أحوالهم تكون معبرة عن أفكار واضعيها، وعلى كل حال ما هي إلا محاولات بشرية، ومجهودات آتت ثمرها في جوانب عديدة، وإن الاستدراك عليها ما هو إلا مدخل من مداخل العلم لكشف بعض جوانب القصور فيها، واستكمالا لمقاصدها الجليلة الساعية إلى تقييد العلوم، وتوضيح ما كان صوابا من غيره.

فقد خرجت بعض هذه الاصطلاحات عن أصل ما وضعت له، ومن ذلك ما اصطلح عليه بعض المتأخرين من تسمية النظريات، والفرضيات العلمية، تفسيرات للقرآن الكريم، فحملوا عليها كثيرا من معاني الآيات، فأوّلوها حتى أخرجوها عن مقتضياتها، وإن أصابوا في بعض المعاني إلا أنهم أخطؤوا في كثير منها.

ومن هذا المنطلق أحببت –مستعينة بالله تعالى، متوكلة عليه– دراسة الأحداث الكونية التي وردت في سورة التكوير من منظور التفسير العلمي الشرعي، ومن منظور العلم التجريبي التطبيقي، من خلال هذا البحث الذي أسميته: (**الأحداث الكونية في سورة التكوير من منظور التفسير الشرعي، والتفسير العلمي(دراسة موضوعية)**.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في الخلاف الحاصل في الاصطلاحات العلمية بين العلماء الشرعيين، والعلماء أصحاب العلم التجريبي ، في معنى التفسير العلمي، من جهة، ومن جهة أخرى اختلافهم في معاني الأحداث الكونية في سورة التكوير، وتفسيرها من منظور شرعي علمي، ويمكن صياغة هذه المشكلة من خلال السؤال الرئيس التالي:

- ما مدى التوافق، والاختلاف في تفسير الأحداث الكونية الواردة في مطلع سورة التكوير، من منظور المتقدمين من العلماء، والباحثين المعاصرين.

ويتفرع منه، بعض الأسئلة الفرعية، منها:

- ما الفرق بين التفسير العلمي الشرعي، وما يسمى بالتفسير العلمي –التجريبي–؟
- ما هي الأسباب العلمية، والمنهجية التي أدّت إلى اختلاف العلماء المتقدمين، والمعاصرين في مفهوم التفسير الشرعي، والعلمي التجريبي؟ وما أثر ذلك في معاني الآيات الكونية في سورة التكوير بصفة خاصة؟.

أسباب اختيار البحث وأهميته:

تكمن أهمية هذا البحث، وأسباب اختياره في مدى القيمة العلمية لما يسمى بالتفسير العلمي –التجريبي–، وما يترتب على هذا من الإيجابيات، والسلبيات، ويمكن تلخيص أبرز أسباب الاختيار، فيما يلي:

١- الاختلاف الاصطلاحي في مسميات التفسير الشرعي، والعلمي، وأثره، ومواقف العلماء منه.

٢- تنوع الآيات، والنصوص القرآنية، ما بين نصوص شرعية عقدية، وعملية تعبدية، وكونية.

فهذه بعض الأسباب العامة، وأما الأسباب الخاصة في حصر الدراسة بما في سورة التكوير من الأحداث الكونية، فهي كالتالي:

١- محاولة فهم الأثر المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم[1]، والذي أشار فيه إلى هذه الأحداث، والأهوال المنذرة بقيام الساعة، وبيان وجوه المعاني، ومدلولاتها الغيبية، والعلمية.

٢- وجود العديد من الآيات التي تحدثت عن أهوال القيامة المتمثلة بهذه الأحداث الكونية العظيمة، ومحاولة إيجاد المنظور الشرعي لها من جهة، والنظرة العلمية التجريبية لها من جهة أخرى.

٣- وجود بعض التعارض بين مذاهب المتقدمين المتقيدين بأصول التفسير المتفق عليها، وبين أصحاب التفسير العلمي التجريبي، المبني على النظريات، والفرضيات العلمية.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحقيق العديد من الأهداف، منها:

١- دراسة الأحداث الكونية في سورة التكوير، وتناسبها مع محاور السورة العامة ومقاصدها.

٢- إيضاح النظرة الشرعية، وموقف العلماء من التفسير العلمي التجريبي، المبني على النظريات، والفرضيات الفلكية، والفيزيائية.

٣- المقارنة بين أقوال علماء السلف، ومن وافقهم، وبين الباحثين المعاصرين المهتمين بالعلوم التجريبية، والتطبيقية، وبيان التوافق، والتعارض بينها.

(١) قوله صلى الله عليه وسلم" قال: "شيبتني هود، والواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت". الحديث صحيح، أخرجه الترمذي في الشمائل: (ص:٢٩)، وأبو يعلى في المسند: (٣٨٧/١). والطبراني في الكبير: (١٤٨:٦)، من طريق علي بن صالح، عن أبي إسحاق، عن أبي جحيفة. والاختلاف في سند هذا الحديث إنما هو من طريق أبي إسحاق، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة: (٦٣٩/٢)، وقال إسناده جيد. ينظر: مختصر الشمائل المحمدية، محمد بن عيسى بن سَوْرة، الترمذي(ت:٢٧٩هـ)، اختصره وحققه: محمد ناصر الدين الألباني الناشر: المكتبة الإسلامية، عمان – الأردن. ومسند أبي يعلى، أحمد بن علي بن المثنى، أبو يعلى(ت:٣٠٧)، طبعة دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن، تحقيق: إرشاد الحق الأثري، ط١، ١٤٢٧ه – ٢٠٠٧م. والمعجم الكبير، سليمان بن أحمد، الطبراني(ت:٣٦٠ه)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٩٨٣م. والسلسلة الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف – الرياض(د.ت): (٦٣٩/٢).

منهج البحث:

حاولت الباحثة من خلال تتبع المنهج الوصفي، والتحليلي: دراسة آراء العلماء المتقدمين، وآراء أصحاب العلم التجريبي بصورة عامة، مع التركيز على النتائج التي توصلوا إليها، ثم بيان الاستدراك، والإشكال فيها إن وجد.

الدراسات السابقة:

بعد بحث وتتبع وقع بين يدي الباحثة بعض الدراسات التي تناولت سورة التكوير، وما فيها من الأساليب البيانية، واللغوية، وستكتفي بذكر بعض الدراسات المتعلقة بالتفسير، ومنها:

١- بحث محكم بعنوان: (غريب سورة التكوير، واختلاف السلف فيه)، للدكتورة: سلمى داود إبراهيم بن داود، الناشر: المجلة العلمية لكلية أصول الدين والدعوة، جامعة الأزهر، الزقازيق، مصر.

وقد تركز البحث على غريب الألفاظ في سورة التكوير، وبيان أقوال السلف فيها، وسبب اختلافهم في بعض المعاني –إن وجد– وبيان نوع الاختلاف في المعاني، وأسبابه، بشكلٍ مبسّطٍ، مجدولٍ، غير أنها لم تلتفت إلى معاني الأحداث الكونية من منظور العلم التجريبي، وهذا ما ستعمل الباحثة على استكماله في هذا البحث –بإذن الله–.

٢- مشاهد يوم الدين كما صورته سورة التكوير، السيد عبد الرؤوف إبراهيم، الناشر: المجلة العلمية لكلية أصول الدين والدعوة، جامعة الأزهر، الزقازيق، مصر، العدد(١٩)، ٢٠٠٧م.

والبحث عبارة عن تفسير موضوعي، انصب في موضوعه العام حول العظات، والعبر، والأهوال، التي ستقع يوم القيامة، وابتدأ البحث بالآية الأولى من السورة، وانتهى بالآية الثالثة عشر، وهو كالدراسة السابقة لم يعول فيه الباحث كثيرا على العلم الحديث، وآراء المتأخرين، وإنما هدف لبيان قيمة السورة، وما فيها من الأهوال، والمشاهد العظيمة التي ستحدث.

وقد انقسم هذا البحث إلى ثلاثة مباحث، ومقدمة، فيها أسباب اختيار البحث، وأهميته، وأهدافه، ومنهج البحث، والدراسات السابقة، ثم الخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع.

هيكل البحث:

المبحث الأول: مفهوم التفسير الشرعي، والعلمي، والفرق بينهما:

المطلب الأول: مفهوم التفسير العلمي الشرعي.

المطلب الثاني: مفهوم التفسير العلمي – التجريبي-.

المبحث الثاني: المحاور العامة في سورة التكوير.

المبحث الثالث: الأحداث الكونية في السورة من منظور التفسير الشرعي، والعلم التجريبي، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: معنى التكوير.

المطلب الثاني: معنى الانكدار.

المطلب الثالث: معنى تسيير الجبال.

المطلب الرابع: معنى تسجير البحار.

المطلب الخامس: معنى كشط السماء.

الخاتمة: وتشمل: النتائج والتوصيات:

المبحث الأول: مفهوم التفسير الشرعي، والعلمي، والفرق بينهما:

المطلب الأول: مفهوم التفسير العلمي الشرعي:

هذا التفسير، أو التأويل: هو المشهور، ومقصده الكشف عن معاني القرآن الكريم، وله منهجية واضحة، ومنضبطة، وله قواعده، وحدوده، والضابط لها جميعا موافقتها لأصول التفسير، تفسير القرآن بالقرآن، وبالسنة، وبأقوال الصحابة، والتابعين[١].

والتفسير في اللغة: من الفسر، وهو: الإبانة، والكشف، والإيضاح، والتبيين، قال ابن منظور: "الفسر: البيان، فسَّر الشيء يُفسِّره بالكسر، ويَفسُّره – بالضم– فسراً، وفسَّره أبانه، والتفسير مثله...ثم قال: الفسر: كشف المغطى، والتفسير: كشف المراد عن اللفظ المشكل..."[٢].

ومن هذا يتبين لنا أن التفسير يُستعمل لغة في الكشف الحسِّي، وفي الكشف عن المعاني المعقولة، واستعماله في الثاني أكثر من استعماله في الأول[٣].

والتفسير في الاصطلاح: اختلف في معانيه على معان عدة، منها:

تعريف الزركشي له بأنه: "علم يفهم به كتاب الله المترل، على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه، واستخراج أحكامه، وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة، والنحو، والتصريف، وعلم البيان، وأصول الفقه، والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب الترول، والناسخ، والمنسوخ"[٤].

وقال الزرقاني في تعريفه: "هو علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية"[٥].

---

(١) ينظر: مقدمة في أصول التفسير، أحمد بن عبد الحليم، ابن تيمية(ت:٧٢٨هـ)، الناشر: دار مكتبة الحياة، بيروت– لبنان، ١٩٨٠م: (ص:٣٩).

(٢) لسان العرب، محمد بن مكرم ، ابن منظور(ت:٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ: (٥/ ٥٥).

(٣) ينظر: التفسير والمفسرون، د/ محمد حسين الذهبي، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة – مصر: (١/ ١٢).

(٤) البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر بن عبد الله، الزركشي (ت:٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٩١ه: (١٣/١).

(٥) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم، الزُّرْقاني (ت:١٣٦٧هـ)، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣: (٢/ ٣).

وقيل التفسير: "كشف معاني القرآن، وبيان المراد منه"[١].

وقد أشار د/ الذهبي إلى مذاهب العلماء في تعريف التفسير، وتحرُّز بعضهم عن تعريفه، ناهيك عن تقسيمه[٢] بحسب قواعد المقسمين في ذلك، فقال" يرى بعض العلماء: أن التفسير ليس من العلوم التي يُتكلف لها؛ لأنه ليس قواعد، أو ملكات ناشئة من مزاولة القواعد كغيره من العلوم التي أمكن لها أن تشبه العلوم العقلية، ويُكتفى في إيضاح التفسير بأنه بيان كلام الله، أو أنه المبيِّن لألفاظ القرآن ومفهوماتها. ويرى بعض آخر منهم: أن التفسير من قبيل المسائل الجزئية، أو القواعد الكلية، أو المَلَكات الناشئة من مزاولة القواعد، فيتكلَّف له التعريف، فيذكر في ذلك علوماً أخرى يُحتاج إليها في فهم القرآن، كاللغة، والصرف، والنحو، والقراءات... وغير ذلك"[٣].

والاختلاف في تعريف التفسير واسع، وفي تقسيماته، وأصولها أوسع، فهذا من جهة، ومن جهة أخرى اختلافهم في معنى التفسير، والتأويل، والفرق بينهما، وهو أيضا واسع ومشهور، وليس هنا موضع إيضاحه.

وأما متعلق هذا التفسير فمرجعه إلى معاني النصوص العقدية، والتشريعية التعبدية، مع اشتماله لكثير من الأنواع الأخرى، مما له دلالات نحوية، وبلاغية، وأخلاقية، وتضمّنه كثيرا من القصص، والأخبار، والعلوم غيبية، ونحو ذلك[٤].

وهذه التفسيرات قد استفاض الحديث عنها، واستقصى العلماء كثيرا من معانيها، وإن كانت الإحاطة بجميع معاني القرآن متعذرة لأسباب كثيرة، إلا أنه يمكن القول إجمالا أن ما نقل إلينا من المأثور من تفسير النبي صلى الله عليه وسلم،

(١) حاشية مقدمة التفسير(المقدمة والحاشية كلاهما للشيخ: ابن قاسم)، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم(ت:١٣٩٢هـ)، ط٢، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م: (ص:١٤١).

(٢) أي: تقسيم التفسير، إلى: إجمالي، وتحليلي موضوعي، فقهي، ولغوي، ونحوي، وبياني، وتفسير بالمأثور، وتفسير بأصول التفسير، وكلها تقسيمات شاع ذكرها، وتوسع التخصص فيها.

(٣) التفسير والمفسرون، للذهبي: (١٢/١).

(٤) ينظر: مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية: (ص:٣٩).

وأصحابه، والتابعين، فيه من الفائدة ما يستغنى به عن غيره، وخاصة في المسائل العقدية، ومقاصد الدين، وتشريعاته[١].

وعلى هذا التعبير يمكن القول بأن الفرق بين التفسير العلمي الشرعي، والعلمي التجريبي: هو أن كل دلالة عقدية، أو شرعية تكليفية، سواءً كانت في باب الأحكام العقدية، أو التعبدية، أو الخلقية، أو الأحكام العملية، فوافقت أصول التفسير من كتاب، وسنة، وأقول الصحابة، والتابعين، وما أجمع العلماء على صحته، وموافقته لمقاصد الشريعة، وضوابطها، فإنه تفسير علمي شرعي.

وما دون ذلك فلا يخلو من حالين: **الأول:** إما أن يكون: تفسيرا علميا، وتأويلا محتملا، راجحا كان، أو مرجوحا، أو تفسيرا مختلفا فيه، **والثاني:** أن يكون: تأويلا فاسدا، وتفسيرا باطلا، **فأما الأول:** فما ثبت منه، ووافق ضوابط التفسير الشرعي فيلحق به، **وأما الثاني:** فهو مردود، فالعبرة بموافقة الشرع لا بموافقة الأشخاص، وكل يؤخذ منه ويرد إلا محمد صلى الله عليه وسلم[٢].

المطلب الثاني: مفهوم التفسير العلمي –التجريبي–:

عرّفه د/الذهبي –وإن كان من المعارضين له– فقال: "نريد بالتفسير العلمي: التفسير الذي يُحَكِّم الاصطلاحات العلمية في عبارات القرآن، ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها"[٣].

وعرفه عبد المجيد الزنداني –معاصر– بأنه: "الكشف عن معاني الآية، أو الحديث في ضوء ما ترجحت صحته من نظريات العلوم الكونية "[٤].

ولا يخفى ما في هذه التعاريف من التكلف، فإن مقاصد التفسير: الكشف، والبيان، والإيضاح، وغاية ما في هذه التعاريف هو الاعتماد إلى أصول هي ذاتها

---

(١) ينظر: محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد، القاسمي (ت:١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ: (١/١٣٤-١٣٥).

(٢) ينظر: مَصَاعِدُ النَّظَرِ لِلإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّوَرِ(المُسَمَّى بِمَقْصِدُ الأَسْمَى فِي مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلمُسَمَّى) إبراهيم بن عمر، البقاعي(ت:٨٨٥هـ)، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، ط١،، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م: (١/١٠٤).

(٣) التفسير والمفسرون، للذهبي: (٢/ ٣٤٩)

(٤) تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن، والسنة، عبد المجيد بن عزيز، الزنداني، وآخرون، الناشر: دار المجد، صنعاء، ط٢، ٢٠٠٤م: (ص:٢٤).

تحتاج إلى بيان، وقواعد تستند إليها، وليس كالقواعد الفلسفية، والآراء، والنظريات، والفرضيات، التي قد تناقضها الحقائق في كثيرٍ من الأحيان.

والفرق بين الإعجاز العلمي، والتفسير العلمي، أن الإعجاز يُقصد به: سبق القرآن الكريم إلى الإخبار بحقيقة كونية قبل أن يكتشفها العلم التجريبي(١).

وأما التفسير العلمي للقرآن، فيُراد به: الكشف عن معانٍ جديدة للآية القرآنية في ضوء ما ترجحت صحته من نظريات العلوم الكونية، دون إسراف في التأويل(٢).

غير إنه بسبب احتمال نصوص القرآن الكريم لكثير من المفاهيم، والمقاصد برزت الحاجة لمزيد من البحث في مفاهيم بعض النصوص، ومعانيها البلاغية، والإرشادية؛ وذلك أن القرآن حجة الله على خلقه في كل زمان، ومكان، وله في كل يوم معانٍ جديدة، وشواهد بديعة لفظية، أو لغوية، أو علمية تجريبية، يستنبطها العلماء، والباحثون؛ ولذلك استعمل كثير من المتأخرين هذا النوع من التفسير(٣). حيث إن هذا النوع من التفسير مبنيٌ على الاجتهاد في النصوص الغير عقدية، والغير تكليفية، فإن الأمر فيهما، وفيما يلحق بهما من أصول الدين قد اكتمل بموت النبي صلى الله عليه وسلم، وما أُجمل منها، أو خَفي على بعض الناس، بيّنه الصحابة رضوان الله عليهم، وزاد التابعون ذلك البيان بيانا، وتفصيلا(٤).

وإذا فمدار التفسير العلمي -التجريبي- يدور حول فهم النصوص، ومعانيها، سواء كانت متعلقة بخلق الإنسان، أو خلق السموات، والأرض، أو غيرها، مما جاءت النصوص القرآنية القطعية الدالة صراحة على الحث على تدبره، والسعي للكشف عن مكنوناته، وأسراره (٥).

---

(١) ينظر: مفهوم الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة وآليته الدعوية، د/ صالح بن عبد القوي السنباني، الناشر: مجلة المنبر، الصادرة عن هيئة علماء السودان، العدد:(٢١)، ديسمبر، ٢٠١٤م: (ص:١١-١٨).

(٢) ينظر: مفهوم الإعجاز العلمي...، د/ السنباني: (ص:١١-١٨).

(٣) المرجع السابق.

(٤) ينظر: مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية: (ص:٣٩).

(٥) ينظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد، الشوكاني(ت:١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤ه: (٦٠٧/١)، والمدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد بن محمد، أبو شُهبة(ت:١٤٠٣هـ)، الناشر: مكتبه السنة - القاهرة، ط٢، ٢٠٠٣م: (١١/١).

المبحث الثاني: المحاور العامة في سورة التكوير:

توطئة:

سورة التكوير مكية[١] وكَلِمُها مئة وأربع كلمات، وحروفها خمس مئة، وثلاثة وعشرون حرفا، وهي عشرون وتسع آيات في جميع العدد، إلا في عد أبي جعفر فإنها وثمان، والخلاف في آية: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾[التكوير:٢٦] لم يعدها أبو جعفر وحده، وعدها الباقون[٢].

وسميت بذلك؛ لأنها كغالب السور سميت بما ابتدأت به، وأصل التسمية قول النبي صلى الله عليه وسلم: "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأْيُ عَيْنٍ فَلْيَقْرَأْ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾[التكوير:١]، ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾[الانفطار:١]، ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾[الانشقاق:١]"[٣].

- أبرز المحاور العامة في السورة:

المحور الأول: الحديث عن الأحداث الكونية:

ابتدأت السورة بوصف الأحداث الكونية التي ستقع فيها أهوال القيامة، وقد بدأ هذا المحور بالشرط، وانتهى بجوابه، وبهذه الأركان بدأت هذه السورة العظيمة؛ وذلك لتوضيح ما يؤول إليه حال الخلق عند قيام الساعة، وما بعدها، وهذه الأحوال

(١)ينظر: تفسير مقاتل، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير(ت:١٥٠هـ)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ: (٤/ ٥٩٩).

(٢) ينظر: البيان في عدّ آي القرآن، عثمان بن سعيد، أبو عمرو الداني(ت:٤٤٤هـ)، تحقيق: غانم قدوري الحمد، الناشر: مركز المخطوطات والتراث – الكويت، ط١، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م: (ص:٢٦٥).

(٣) إسناده صحيح، رواه الترمذي، والحاكم من طريق هشام بن يوسف الصنعاني عن عبد الله بن بحير، واقتصر فيه على سورة التكوير، وقال: "صحيح الإسناد و لم يخرجاه"، ووافقه الذهبي. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد: (١٣٤/٧)، وقال: "رواه أحمد بإسنادين، ورجالهما ثقات. ورواه الطبراني بإسناد أحمد"، وصححه الألباني. ينظر: مسند أحمد: (٤/ ٤٠٦). وسنن الترمذي، محمد بن عيسى، أبو عيسى، الترمذي(ت:٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م: (٢٩٠/٥). والمعجم الكبير، للطبراني: (٣٣٨/١٣). والمستدرك على الصحيحين، للحاكم: (٦٢٠/٤). ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر بن سليمان، أبو الحسن، الهيثمي (ت:٨٠٧هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، ١٩٩٤م: (١٣٤/٧)، وصحيح الجامع الصغير وزياداته، محمد ناصر الدين، الألباني(ت:١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي: (١٠٧٩/٢).

على سبع صور منها ست متلاحقة متلازمة، وواحدة منفردة، قال أُبيّ بن كعب رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾[التكوير:١]: "ستّ آيات قبل يوم القيامة: بينا -بينما- الناس في أسواقهم، إذ ذهب ضوء الشمس، فبينما هم كذلك، إذ تناثرت النجوم، فبينما هم كذلك، إذ وقعت الجبال على وجه الأرض، فتحرّكت، واضطربت، واحترقت، وفزِعت الجنّ إلى الإنس، والإنس إلى الجنّ، واختلطت الدوابّ، والطير، والوحش، وماجوا بعضهم في بعض..."[1].

والسابعة كشط السماء وطيها، وهي مفصولة عن الست، بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾[التكوير:٧-١٠]، وينتهي الشرط بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾[التكوير:١٢-١٣]، فهذه ثلاث عشرة آية جاءت على صيغ الشرط، منها ما يكون في الدنيا، ويكتمل تحققه في الآخرة، ومنها ما هو خالص التحقق في الآخرة.

وأما جواب الشرط هنا، فقوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾[التكوير:١٤]، من خير أو شر، فتجزى حسنا على الأول، وتعاقب على الثاني.

المحور الثاني: القسم، وجوابه:

في هذا المحور تعلقت معاني الشرط، وجوابه بما بعدها، وظاهر ذلك التوطئة للمقسم به بعدها، وهو قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۝١٥ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ۝١٦ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۝١٧ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير:١٥-١٨].

و(الخنس، الجوار الكنس)، اختلف المفسرون فيها على ثلاثة أقسام: **الأول:** أن النجوم تخنس، وتكنس في الليل والنهار على التعاقب، **والثاني:** أنها صنف من

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد، الآملي، أبو جعفر، الطبري(ت:٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م: (٢٤/ ٢٣٧).

الحيوان، خصه بعضهم بالبقر، وقال بعضهم هي الظباء، **وذهب الفريق الثالث**: إلى أنها عامة في كل ما يخنس، ويكنس من النجوم، والدواب، وغيرها، وإليه ذهب الطبري، فقال: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، أن يقال: إن الله -تعالى ذكره- أقسم بأشياء تخنس أحيانا، أي: تغيب، وتجري أحيانا، وتكنس أخرى، وكنوسها: أن تأوي في مكانسها، والمكانس عند العرب: هي المواضع التي تأوي إليها بقر الوحش، والظباء، واحدها: مَكنِس"(١).

وأما قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾[التكوير:١٧]، فقد اختلفوا في معنى عسعس لاشتراكه اللفظي بين الإقبال، والإدبار، وهذا الاختلاف من التنوع، وجواز حمل المعنى عليها سائغ لغة، فإن قيل عسعس الليل، فله وجهان، **الأول**: أن يكون القائل في النهار فيحمل معناه على إقبال الليل، **والثاني**: إن كان القائل في السحر، فقال: عسعس الليل، فإنه يراد أدبر الليل، وتنفس الصبح.

وجواب القسم قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ٢١ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ٢٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ٢٣ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ٢٤ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ﴾ [التكوير:١٩-٢٥]مقصده بيان عظم المـــرسِل والمـــرسَل والرسول، والمرسل إليه.

فأما المـــرسِل: فهو الله تعالى سبحانه وتعالى.

وأما المـــرسَل: فهو كتاب الله العزيز، وكلامه المبين، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.

وأما الرسول: فهو جبريل الأمين، روح القدس، القوي، ذو المكانة العالية عند رب العالمين.وأما المرسل إليه: فسيد الأولين والآخرين، محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) جامع البيان، للطبري: (٢٤/٢٥١- ٢٥٤).

فالمحور الثاني يدور الحديث فيه عن القرآن، وتنزيله من الله بواسطة جبريل الأمين على قلب النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم، وإثبات نبوته، ورسالته، وأمانته في تبليغ الوحي، وأهليته العالية لتلقي الوحي، ورؤيته جبريل عليه السلام على صورته الحقيقية(١).

وفي تحقيق هذا كله تصديق لصدق ما سيحدث من الأخبار الغيبية التي أخبر عنها القرآن الكريم عموما، وسورة التكوير خصوصا.

و جاء في ختام الآيات قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾[التكوير:٢٦]،قال قتادة :" أي:فأين تعدلون عن كتابي وطاعتي "(٢) فلا طريق أهدى وأرشد للخلق أجمعين من كتاب الله سبحانه وتعالى.

قال الزحيلي: "وختمت السورة ببيان ضلال المشركين، وأن القرآن عظة، وذكرى لجميع العالمين، من الإنس، والجن، ممن أراد الهداية، وأقبل على الخير، وأن مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله تعالى، فلا يستطيع الاستقلال بعمل ما دون إرادة الله "(٣).

(١) ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د/ وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر – دمشق، ط٢ ، ١٤١٨ه: (٣٠/٧٩ –٨٠).

(٢)جامع البيان، للطبري: (٢٤/٢٦٣).

(٣)ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د/ وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر – دمشق، ط٢ ، ١٤١٨ه: (٣٠/٧٩ –٨٠).

المبحث الثالث: الأحداث الكونية في السورة من منظور التفسير الشرعي، والعلم التجريبي، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: معنى التكوير.

اختلف المفسرون من المتقدمين في معنى التكوير؛ وذلك لتنوع المعنى الذي احتمله لفظ التكوير، من جهة، ومن جهة أخرى اختلاف الأحداث يوم القيامة، ومجمل أقوالهم تدور حول أربعة احتمالات يكون عليها حال الشمس، وهي:

الأول: الجمع واللف، وهو مأخوذ من كار العمامة على رأسه يكورها. قال الزجاج: "لفت كما تلف العمامة"(١)، يقال: كوّرت العمامة على رأسي، أكورها كورا، وكورتها تكويرا إذا لففتها(٢)، قال أبو عبيدة(ت:٢٠٩هـ): "كورت مثل تكوير العمامة تلف فتجمع"(٣). **والثاني:** أن التكوير من كور الشيء إذا سقط(٤)، أو رمي به، فتكوير الشمس، أي: رمي بها(٥). **والثالث:** ذهاب الضوء، وتكوير الشمس ذهاب ضوئها، وإليه ذهب مقاتل وقتادة(٦). **والرابع:** الاضمحلال، والانكماش، قال مجاهد: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، أي: اضمحلت(٧).

(١) معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري، أبو إسحاق الزجاج(ت:٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م: (٢٨٩/٥).

(٢) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيط، علي بن أحمد، الواحدي(ت:٤٦٨هـ)، تحقيق: مجموعة من الباحثين، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٣٠ هـ: (٢٤٥/٢٣).

(٣) مجاز القرآن، أبو عبيدة، معمر بن المثنى، التيمي، البصري، تحقيق: محمد فؤاد سزگين، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٨١هـ: (٢٨٧/٢).

(٤) ينظر: اللباب في علوم الكتاب، عمر بن علي بن عادل، النعماني(ت:٧٧٥هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م: (١٧٥/٢٠).

(٥) ينظر: تفسير عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري، اليماني، الصنعاني(ت:٢١١هـ)الناشر: دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: د/ محمود محمد عبده، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٩هـ: (٣٩٦/٣).

(٦) ينظر: البحر المحيط في التفسير، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، أبو حيان، الأندلسي(ت:٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ: (٤١٣/١٠).

(٧) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن(تفسير البغوي)، محيي السنة، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، البغوي (ت:٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ: (٢١٤/٥).

قال الطبري مرجحا الجمع بين المعاني: "إنما معناه: جمع بعضها إلى بعض، ثم لفت فَرُمِي بها، وإذا فعل ذلك بها ذهب ضوؤها، فعلى التأويل الذي تأوّلناه وبيَّنـــاه لكلا القولين اللَّذين ذكرت عن أهل التأويل وجه صحيح؛ وذلك أنها إذا كُـــوِّرت ورُمي بها، ذهب ضوؤها"(١)، وقال الواحدي: "قال المفسرون: تجمع الشمس بعضها إلى بعض ثم تلف فيرمى بها. فالحاصل أن التكوير إما بمعنى لف جرمهـــا، أو لـــف ضوؤها"(٢).

وابتداء ما يحدث للشمس من التغاير يكون من حين طلوعها من مغربها، فقد روي عن أبي العالية في قوله: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾، قال: "سيأتي أوّلهـــا والنـــاس ينظرون"(٣)، وقد تواترت الأحاديث على تحقق طلوعها من مغربها عنـــد أشـــراط الساعة الكبرى(٤).

وأقوال المفسرين كالطبري، والواحدي، وغيرهما، قد جُمع فيها احتمـــالات ذلك كله؛ لاشتمال المعاني المترادفة لذلك، فاللف، والجمع يحتمل الرمي بهـــا عنـــد سقوطها، وذلك حين تضمحل، وتخفت، ويذهب ضوؤها، وهذه المعاني تحمل على ثلاثة وجوه على اعتبار زمان تحققها:

الأول: ما يشاهد الناس ممن تقع عليهم بعض هذه الأحداث، كشروقها من المغرب، وخفوت ضوئها. فقد روي عن أبيّ بن كعب، قال: "ستّ آيات قبل يوم القيامة: بينا الناس في أسواقهم، إذ ذهب ضوء الشمس، فبينما هـــم كـــذلك، إذ تناثرت النجوم..."(٥).

(١) جامع البيان، للطبري: (٢٣٨/٢٤).
(٢) ينظر: فتح القدير، الشوكاني:ـــ (٤٦٩/٥).
(٣) جامع البيان، للطبري: (٢٤٦/٢٤).
(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن(تفسير القرطبي)، محمد بن أحمد بن أبي بكر، القرطبي(ت:٦٧١هـــ)، تحقيق: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـــ - ١٩٦٤م: (٧/ ١٤٦-١٤٨).
(٥) ينظر: جامع البيان، للطبري: (٢٣٧/٢٤).

والثاني: ما يحدث من الأهوال، والأحداث الكونية حال تشقق السماء، وانكدار النجوم، وتفجر البحار، وتسيير الجبال، وتزلزل الأرض، ونحوها، مما قد يقع بعضه في حياة بعض الناس، أو بعد موتهم.

والثالث: ما هو عليه حال الشمس يوم القيامة من دنو الشمس من الرؤوس قيد ميل أو ميلين[١]، أو ما يحدث لها من تكويرها، ورميها والقمر في جهنم، تبكيتا لمن عبدهما من دون الله[٢].

وأما الذين فسروا معنى التكوير من منظور العلم التجريبي فقد تنوعت تأويلاتهم له على صروف شتّى، فمنهم من حمل المتيقن من التوافقات بين العلم التجريبي، ونظائره من أقوال المفسرين المتقدمين، ومنهم من أفرط في حمل معاني الآية على كل النظريات، والفرضيات، والتي هي في جملتها دراسات احتمالية، وتطبيقات تجريبية تحتمل الخطأ، أو الصواب، وهم في ذلك بين مقل، ومكثر. فأما المقل فقد اكتفى بظاهر النظريات دون تفاصيلها، وأم المكثر فقد تحدث عنها بكل التفاصيل، والجزئيات، على اعتبارها تفسيرات للقرآن لا تقبل الشك[٣]، وفيما يلي ذكر بعض ما ذهبوا إليه:

- **حملوا شكل الشمس على أنه كروي، وجزموا بذلك:** فجعلوا المعنى اللغوي للفظ التكوير، بمعنى: الدائري، فقالوا: "لو قال القرآن إن الشمس مربعة، أو مثلثة، أو أي شكل غير الدائري -الكروي- لما آمن إنسان على وجه الأرض"[٤]، في حين أن بعض النظريات، والفرضيات، تتعارض مع هذا الرأي،

(١) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، مكي بن أبي طالب، القيسي(ت:٤٣٧هـ)، تحقيق: مجموعة من الباحثين، الناشر: جامعة الشارقة، ط١، ٢٠٠٨م: (٨١٢٠/١٢).

(٢) ينظر: زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي(ت:٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ: (٤٠٦/٤).

(٣) ينظر: التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، د/ هند شلبي، الناشر: مطبعة تونس قرطاج، تونس، ط١، ١٤٠٦ه - ١٩٨٥م: (ص:٢٠ -٦٩).

(٤) المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام، جمع وإعداد الباحث في القرآن والسنة، علي بن نايف الشحود: (١٢٨/٦-١٢٩)، بتصرف.

وأكثرها تقول بأن الشكل الدائري تقريبٌ، ومن الفلكيين من يقول بعدم كرويتها، وإنما هي عبارة عن مكونات غازية ملتهبة، غير منتظمة الشكل[1].

- **الإفراط في ذكر التفاصيل المستقاة من النظريات، والفرضيات:** فجعلوها تفسيرا علميا لما سيحدث للشمس من التكوير، فذهب بعض الباحثين[2]: إلى أن الإعجاز العلمي في الآية الكريمة –مختصراً-: ما للشمس من وهج، يتكون من اندماجٍ داخل باطن الشمس لذرتين من الهيدروجين مما ينتج الهيليوم...ونفاد الأكسجين من باطن الشمس، ووفرة الهيليوم –بعد سنين لا يعلمها إلا الله– يُحدث اضطرابا، وعدم توازن في جسم الشمس؛ لأن الهيليوم أثقل من الهيدروجين بأربع مرات، عندها تلجأ الشمس إلى حركة تعيد توازنها فينتفخ الجزء الخارجي من الشمس، ويتقلص لهبها. وعندها يكون اللب أضعف من أن يُسند الجزء الخارجي من الشمس، فينهار جسم الشمس على بعضه، فتنكمش الشمس انكماشاً سريعاً، مفاجئاً، فتتقارب الذرات تقارباً شديداً حتى تكاد تتداخل، وهذا هو التكوير[3].

فقرروا في الفقرتين السابقتين بأن شكل الشمس دائري، وقيدوا إيمان الناس على هذا البناء، مع أن المجمع عليه أن الناس يؤمنون بكثير من الأشياء من غير معرفة أشكالها وأوصافها الدقيقة، والاستدراك الثاني: أن الآية لا تتحدث عن الشمس على هيئتها الحالية وإنما على ما تؤول إليه يوم القيامة، **والثالث:** أن هناك نظريات،

(١) ينظر: الموسوعة الحرة، https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%85%D8%B3

(٢) مثل: د/ يوسف الحاج، وعلي بن نايف الشحود، وعبد المجيد بن محمد الوعلان، ينظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، يوسف الحاج أحمد، الناشر: مكتبة ابن حجر، دمشق، ط٢، ٢٠٠٣م: (٣٥٦-٣٧٠)، والآيات الكونية دراسة عقدية، عبد المجيد بن محمد الوعلان، الناشر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية: ١٤٣٣هـ: (ص:٦١٨)، والمفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام، للشحود: (١٢٨/٦– ١٢٩).

(٣) المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام، للشحود: (٦/ ١٢٨ – ١٢٩)، الآيات الكونية دراسة عقدية (ص: ٦١). والموسوعة الحرة، وكيبيديا:https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%85%D8%B3

وفرضيات تقول بأن شكل الشمس ليس دائريا كم يرى في عين الناظر، وإنما هي عبارة عن كتلة غازية ملتهبة غير منتظمة الشكل[١].

وأفرطوا في الثانية في سرد معلومات افتراضية، ودراسات احتمالية؛ وذلك أن العملية التي حُمل عليها معنى الآية تحتاج لملايين السنوات لتحققها على دراجات مختلفة[٢]؛ وذلك مخالفٌ لظاهر الآية، ومخالفٌ لما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من الأحاديث المؤذنة بدنو قيام الساعة، فهذا وجه، والثاني: هو انعدام الحياة في مرحلة موت الشمس كما يسمونه، وهذا مخالف لما صح من طلوع الشمس من مغربها فجأة، ولما عليه أكثر المفسرين من أنها تكور، ويذهب نورها، والناس ينظرون، إليها[٣].

ومن وجوه التأويل الباطل لهذه الآية، ما ذكره بعض المعاصرين، في قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾[التكوير:١] ما نصه: "أي: اعتُبرت كرة، أو اعتبرها الناس كذلك، أو اكتشف الأمر. وقد أخذ من هذا بعض المفسرين أنه إذا اطلع على بعض نواميس الكون ككروية الأرض، ونحو هذا، فيدخل ذلك في هذا"[٤].

والظاهر أن معاني الآية، ومفهومها، ومقصدها، إنما هو الدلالة على أهوال القيامة، وما يقع من الأحداث الموطئة لها، وما يصاحب قيامها من الفزع، والخوف، سواء لمن عايش هذه الأحداث، ممن يشهدون شروق الشمس من مغربها، مع بعض الأحداث التي حددها أبي بن كعب، أي: الست الآيات الأول من هذه السورة، أو ما يكون من شأن الشمس وحالها بعد تغيير السموات غير السموات، والأرض

(١) ينظر: الموسوعة الحرة وكيبيديا: https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%85%D8%B3

(٢) ينظر: مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة المطهرة، د/ زغلول راغب محمد النجار، الناشر، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م: (٤١٥-٤١٨).

(٣) ينظر: السماء في القرآن الكريم، د/ زغلول راغب محمد النجار، الناشر: دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط٤، ٢٠٠٧م: (ص:١٧٩).

(٤) دروس للشيخ محمد الحسن الددو الشنقيطي، محمد الحسن ولد محمد، الملقب بـ(الددو)، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية: (٣٥/١١).

غير الأرض، ولا صلة بين هذه الأحداث، والأهوال، وبين كروية الأرض، أو كروية الشمس، وغير ذلك من التأويلات، والتخمينات التي لا تستند إلى دليل.

وهناك من توسط في الطرح، فأهمل التفاصيل الدقيقة، واكتفى بالمفاهيم العامة للنظريات العلمية، فقال: "إن علماء الفلك يقدرون بأن الشمس تسبح إلى الوقت الذي ينفد فيه وقودها فتنطفئ... فقد ذكر علماء الفلك في وكالة الفضاء الأمريكية(NASA) أن الشمس عندما تستنفذ طاقتها تدخل في فئة النجوم الأقزام ثم تموت، وبموتها تضمحل إمكانية الحياة في كوكب الأرض، إلا أن موعد حدوث ذلك لا يعلمه إلا الله تعالى"[1].

المطلب الثاني: معنى الانكدار.

أصل الانكدار: الانصباب، وتناثرت، وانتثرت، تساقطت، وتهافتت[2]، قال ابن زيد: "رُمِي بها من السماء إلى الأرض"[3]، وقال آخرون: انكدرت: تغيرت، وروي هذا عن ابن عباس. ومعنى قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴾ [التكوير:٢]، أي: إذا النجوم تناثرت من السماء فتساقطت[4].

فهذه ثلاث معان مترابطة، ومتداخلة، **فالمعنى الأول للانكدار**: التساقط، والتناثر والتهافت، ونظيره في الانفطار، قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴾ [الانفطار:٢]، ولفظ الكواكب، والنجوم في القرآن يأتي على مسميات متناظرة، فتارة يسمي هذه الأجرام بالنجوم، وتارة بالكواكب، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴾[الصافات:٦]، أي: النجوم، وقيل: الكواكب غير النجوم، والأول أصوب[5].

---

(١) الآيات الكونية دراسة عقدية (ص:٦١٨).

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري: (٢٤/٢٣٩).

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

(٥) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٦٠٢)، وجامع البيان، للطبري: (٢٤/ ٢٣٩-٢٤٠)، ومشاهد يوم الدين كما صورته سورة التكوير، د/ السيد عبد الرؤوف إبراهيم، الناشر: المجلة العلمية لكلية أصول الدين والدعوة، جامعة الأزهر، الزقازيق، مصر، العدد(١٩)، ٢٠٠٧م: (ص: ٢٤٧).

والثاني: أن الانكدار، بمعنى: الانصباب، قال أبو عبيدة: "انصبت كما تنصب العقاب[١]، إذا انكسرت"[٢]، وانكدر الطائر من الهواء: انقض[٣]. **والثالث:** أن الانكدار، طمس آثارها، فقد روي عن ابن عباس في معنى ذلك أنه قال: "تغيرت فلم يبق لها ضوء؛ لزوالها عن أماكنها"[٤]، وقال: "...ويحتمل أن يكون انكدارها طمس آثارها"[٥].

وأما من منظور المتأخرين فإن معاني الآية عندهم على معنيين، بحسب اعتماد كل فريق منهم على مدلولات العلم الحديث:

فبعضهم: اكتفى بما للآية من إشارات إلى الأحداث الكونية، وما يكون عليه حال السموات، والأرض حينئذ، فوافق أقوال المتقدمين.

وأما الفريق الثاني: فقد توسع في حمل المعاني على ظواهر النظريات، والفرضيات، حتى أخرجها عن معانيها، ومقاصدها، ومن ذلك قول بعض المعاصرين في قوله تعالى : "﴿ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴾[التكوير:٢]، أي: تساقطت. وقد حصل كثير من هذا، ووُصِل إلى بعض المجرات"[٦].

فالقول السابق يقرر بأن تساقط النجوم قد حصل كثير منه، وأنه قد وُصل إلى بعض المجرات، وتم اكتشاف الكواكب، وكشف العلم عن موتها، وتناثرها، وهذا الرأي مخالف لمعنى الآية العام، ولما عليه سلف الأمة، وكبار المفسرين، فإن التساقط واقع حال القيامة، ومنه ما يشاهد الناس هوله، وأحداثه على صورة مفزعة،

(١) العقاب: هي صخرة ناتئة ناشزة، وفي البئر من حولها، أي معلقة على حافته، والعقاب الطائر، ينظر: كتاب العين الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم، أبو عبد الرحمن، الفراهيدي، البصري (ت:١٧٠هـ)، تحقيق: د/ مهدي المخزومي، د/ إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال: (١٨١/١).

(٢) مجاز القرآن، لأبي عبيدة: (٢٨٧/٢)، وتفسير القرطبي: (٢٢٧/١٩).

(٣) ينظر: فتح القدير للشوكاني: (٥/ ٤٦٩).

(٤) تفسير الماوردي(النكت والعيون)، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت:٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (٢١١/٦)، ومشاهد يوم الدين كما صورته سورة التكوير، السيد عبد الرؤوف إبراهيم: (ص:٢٤٥-٢٤٨).

(٥) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (٢٢٨/١٩).

(٦) دروس للشيخ محمد الحسن الددو الشنقيطي: (٣٥/١١).

وبرأي العين، وذلك مفهوم قوله النبي صلى الله عليه وسلم، ومنطوقه، حيث قال: "من سرّه أن ينظر إلى يوم القيامة، كأنه رأي عين، فليقرأ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير:١]، ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾[الانفطار:١]، ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ [الانشقاق:١]". وإلى هذا الرأي ذهب أُبي بن كعب، قال: "بينما الناس في أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس! أي: اختفى ضوء الشمس فجأة، فبينما هم على ذلك إذ تناثرت النجوم!..."[1]، وتابع أُبيّ كثير من المفسرين منهم ابن عباس[2].

المطلب الثالث: معنى تسيير الجبال :

لم تختلف تأويلات المتقدمين في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ [التكوير:٣]، كثيرا، وإن اختلفوا في الألفاظ إلا أن مؤدّاها واحد، ومتكامل، ومجملها يفيد أحوال الجبال في الآخرة، أو قبلها مما يقع مما يشاهده الناس كما نقل عن أبي بن كعب، وابن عباس وغيرهما، بأن تسيير الجبال من الست الآيات التي يشاهدها الناس[3]، وأقوالهم في تسييرها على النحو التالي:

قيل: في معنى سيرت، أي: قلعت عن الأرض، وسيرت في الهواء، ومنه قوله: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٧]، وقيل: سيرها الله، فكانت سرابا، وهباء منبثا، وقيل: ذهبت[4]، وروي عن مقاتل قال: "سوّيت بالأرض كما خلقت أول مرة، وليس عليها جبل، ولا فيها واد"[5].

وعلى هذا المعنى وافق كثير من المتأخرين المتقدمين، وإن كانوا خالفوهم في زيادات بعض المعاني، مسترشدين بما توصلت إليه الدراسات الحديثة، إذ إنهم قالوا

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس(ت:٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، ط٣، ١٤١٩هـ: (٣٤٠٢/١٠)، ومعالم التنزيل، للبغوي: (٢١٥/٥).

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري: (٢٤/ ٢٣٧).

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري: (٢٣٧/٢٤).

(٤) المرجع السابق.

(٥) تفسير مقاتل: (٦٠١/٤)، وتفسير الماوردي: (٢١٢/٦).

أن تسييرها يحتمل أيضا ما يراه الناظر من جمودها، وهي تسير في حركة دورانية متزامنة مع دوران الأرض حول نفسها، وهذا الرأي، وإن كان له وجه في بعض أحواله إلا أنه يؤخذ عليه، ويستدرك، ما يلي: **أولا**: أن معنى الآية هنا مجمع عليه بأنه حاصل في أهوال يوم القيامة. **ثانيا**: أن دوران الجبال بهذه الصورة محل نزاع بين المتقدمين، والمتأخرين بين قبول ورفض. **ثالثا**: أن قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النمل: ٨٨] عام، وقوله في التكوير: ﴿ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴾[التكوير:٣]، خاص، فإن العام قد يحتمل دورانها مع الأرض باعتبارها جزء منها، ويحتمل غير ذلك[١]، والثاني: يحدث قطعا في يوم القيامة[٢].

رابعا: أن المتأخرين ذهبوا إلى أن الجبال ستسير بالزّلازل العظيمة، والبراكين الهائلة، قال ابن عطية: "وتسيير الجبال: نقلها من مواضعها بزلزال أرضي عظيم، وهو مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴾، وقوله: ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ﴾ [النمل:٨٨]"[٣].

وقال محمود بن غريب –معاصر-: "ولكن الذين عاصروا العلم الحديث، وهو يقرأ بعض أسرار الكون، ومنها دوران الأرض حول نفسها، وحول الشمس، يمكنهم إذا تدبروا ألفاظ الآية الكريمة، أن يفهموها فهما آخر، بلا تكلف، ولا تطويع للنص، تدبر معي قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً ﴾، ونحن في

(١) ينظر: السماء في القرآن الكريم، د/ زغلول النجار: (ص:١٧٢).

(٢) ينظر: الجواهر في تفسير القرآن العظيم، طنطاوي جوهري(ت:١٣٥٩ه)، الناشر، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، ١٣٤٧ه: (٢٣٥/١٣-٢٣٦).

(٣) التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، ابن عاشور(ت:١٣٩٣هـ)، الناشر: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م: (١٥/ ٧٨).

الدنيا ننظر إلى الجبال فنحسبها جامدة، أما في الآخرة فتكون الجبال كالعهن المنفوش..."[1].

وفي بعض ما جاء من أقوال المعاصرين تجاوز لمقتضى الآية، ومفهوم معانيها، فجعل معنى قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴾، أي: تسيير الإنسان للجبال، ودكها للبناء عليها، وقطع الحجارة منها، ونحو ذلك[2].

ولا شك أن هذا القول يرد عليه من عدة وجوه، **الأول**: أنه مخالف لمذهب السلف والخلف من المفسرين، **والثاني**: أن مقاصد الآية التخويف، والترهيب، وليس الامتنان بتسخيرها للإنسان، **والثالث**: أن التغيّرات الحاصلة للجبال، وغيرها من الأحداث الكونية العامة يشمل جميع ما في الأرض، بل والسموات، وليس مقصورا على بعض الجبال دون بعض.

المطلب الرابع: معنى تسجير البحار:

تدور أقوال المتقدمين في معنى التسجير، في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾[التكوير:٦]، حول عدة معان منها: أنه بمعنى الموقد، أو الملؤ، أو اليابس، أو المختلط، أو ما تحته نار، أو المحبوس، أو ما يعذب به أهل النار[3].

وهذه الأقوال لها دلالتان مختلفتان، **الأولى**: أن هذه الأحداث كائنة بعد البعث، والنشور، فيكون مكان جهنم في البحار، وهذا الرأي يحتاج إلى نصوص قطعية، صحيحة، صريحة الدلالة؛ لأنه من الأمور التي لا تبلغها أفهام الناس، ولا علومهم، ولكنها تبقى مما سُكت عنه؛ ولذلك قال علي رضي الله عنه: "لرجل

(١) سورة الواقعة ومنهجها في العقائد(دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم)، الشيخ/ محمود غريب، الناشر: دار التراث العربي – القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م: (ص: ٣٤-٣٥).

(٢) ينظر: دروس للشيخ محمد الحسن الددو: (٣٥/١١).

(٣) تفسير مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر(ت:١٠٤هـ)، تحقيق: د/ محمد عبد السلام، الناشر: دار الفكر الإسلامي، مصر، ط١، ١٩٨٩م: (ص:٧٠٧)، وتفسير مقاتل: (٦٠١/٤)، وتفسير عبد الرزاق: (٣٩٥/٣-٣٩٦)، وجامع البيان، للطبري: (٤٥٩/٢٢)، وتفسير الماوردي: (٢١٣/٦).

من اليهود أين جهنم؟ فقال: البحر، فقال: ما أراه إلا صادقا" ﴿ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ﴾ [الطور:٦][(١)].

والثانية: متعلقة بأهوال الآخرة، وما يكون فيها من الأحداث الكونية، فكأن البحار تملء الأرض، وتتفجر فتخرج عن محيطاتها، ثم تشتعل النيران فيها، فيغور ماؤها، وتيبس قيعانها[(٢)]، وهذا الرأي موافق لسياق الآيات في مطلع السورة ومفهومها.

ولعل فيه إشارة إلى الأسباب المؤدية إلى اشتعال البحار، وتفجرها، واختلاطها؛ وذلك من خلال الكشف عما تحتها من النيران التي ستؤدي إلى ذلك، وهذا وإن دلت عليه الأحاديث النبوية كقوله صلى الله عليه وسلم: "إن البحر هو جهنم"[(٣)] إلا أن هذه الاحتمالات لا تتجلى معانيها، وتتضح إلى من خلال الدراسات العلمية التجريبية.

وقد أظهرت بعض الدراسات المعاصرة أن قاع البحر يشتعل بالنيران، فقيعانها مشتعلة بالصهارة الصخرية المندفعة بملايين الأطنان من داخل الأرض عبر شبكة الصدوع العملاقة التي تمزق الغلاف الصخري للأرض بالكامل، وتتركز هذه الشبكة من الصدوع العملاقة أساسا في قيعان البحار، والمحيطات[(٤)].

والتعارض بين آراء المتقدمين من المفسرين والمعاصرين، يتباين من وجهين:

الأول: أن تسجير البحار من أهوال القيامة، وعلاماتها، وهو أيضا مصاحب لما عليه الحال من تكوير الشمس، وذهاب ضوئها، وتساقط النجوم، وانتشار

(١)جامع البيان، للطبري: (٢٢/ ٤٥٨)

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب(التفسير الكبير)، محمد بن عمر بن الحسن، الفخر الدين الرازي(ت:٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ: (٦٥/٣١).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، ينظر: المستدرك على الصحيحين: (٤/ ٦٣٨) رقم (٨٧٦٢).

(٤) ينظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، محمد راتب النابلسي، الناشر: دار المكتبي، دمشق، ط٢، ٢٠٠٥م: (٩٦/٢)، والآيات الكونية دراسة عقدية: (ص:٦٣٤)، والبحر المسجور واتساع قاع البحر، مجلة الهيئة العلمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بمكة، العدد (٢٧).

الكواكب، وتسيير الجبال، فهذه أحداث مترابطة، متلازمة الوقت، والحدوث، **والثاني**: خلط المتأخرين في معاني الآيتين: ﴿ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴾[الطور:٦]، ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾[التكوير:٦]. فالأول مذهب المتقدمين فيه، أنه يحتمل معنيين موافقين لما دلت عليه مقاصد الآيات في سورة الطور، وسورة التكوير، فحملوا كل آية على مقاصد السورة التي وردت فيها، فدلالات الآيتين مختلفة عندهم، وأما المتأخرين فقد خلطوا بين دلالات البحر المسجور، وتسجير البحار، فحملوها على معنى واحد، وهو ما تحتها من النيران، والصهارة، وقد أوجد ذلك تناقضا واضحا في مدلول الدراسات العلمية التجريبية التي التجأوا إليها، حيث جعلوا البحر المسجور الذي ذهب المتقدمون إلى أنه بحر في السماء تحت العرش[١] أنه البحر المشاهد الآن، وهذا خلاف مذهب السلف، فهذا وجه، والثاني: أن حدوث التسجير بسبب الصهارة التي في باطن الأرض، فإن قلنا بذلك على رأيهم، فكيف نوفق بين كون هذا البحر غير هذه البحار، وكيف سيشتعل بهذه الصهارة.

المطلب الخامس: معنى كشط السماء:

الكشط: رفعك شيئا عن شيء قد غطاه كما يكشط الجلد عن السنام[٢].

قال الطبري: "وإذا السماء نزعت وجُذبت ثم طُويت"[٣]. وقال الماوردي: " ﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴾[التكوير:١١]، فيه ثلاثة تأويلات: أحدها يعني ذهبت، قاله الضحاك. والثاني: كسفت، قاله السدي. والثالث: طويت، قاله يحيى بن سلام، الآية"[٤].

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري: (٤٦١/٢٢).
(٢) ينظر: تفسير البغوي: (٢١٦/٥)، ولسان العرب، لابن منظور: (٣٨٧/٧).
(٣) جامع البيان، للطبري: (٢٤٩/٢٤).
(٤) تفسير الماوردي: (٢١٥/٦).

وقال الزجاج: "قلعت كما يقلع السقف"(١). وقال مقاتل: " كشطت عن من فيها لنزول الرب"(٢)، وقال ابن عطية: "والكشط: التقشير؛ وذلك كما يكشط جلد الشاة حين تسلخ، وكشط السماء: هو طيها كطي السجل، وفي مصحف ابن مسعود: (قشطت) بالقاف، وهما بمعنى واحد"(٣).

وهذه المعاني: الكشط، الكشف، والقلع، والطي، والانكساف: تدور حول إعادتها كهيئتها الأولى، كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء:١٠٤].

فَجَزْمُ الخطاب على إعادة الخلق إلى أصله في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾، موجب لطي السموات التي فتقت، وردّها رتقا كما كانت، وبداءة الخلق، وإعادته تشتمل ذلك(٤).

وعلى هذه التفسيرات ساق كثير من المتأخرين، وأصحاب التفسير العلمي التجريبي بعض الدراسات التي تحدثت عن فناء الكون، وموت النجوم، وهم يعبرون عن ذلك بالانسحاق العظيم، يقول د/ زغلول النجار: "وبالنظر في السماء توصل علماء الفلك، والفيزياء الفلكية إلى عدد من النظريات المفسرة لنشأة الكون، وفنائه،

(١) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج: (٥/٢٩١).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: (٤/٦٠٢).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب، ابن عطية، الأندلسي المحاربي(ت:٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢٢ه: (٥/٤٤٣).

(٤) ينظر: تفسير يحيى بن سلام(ت:٢٠٠هـ)، تقديم وتحقيق: د/ هند شلبي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م: (١/٣٠٨)، وتفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، محمد بن محمد بن محمود، الماتريدي(ت:٣٣٣هـ) تحقيق: د/ مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٥م: (١/ ٢٢٢).

وأكثر هذه النظريات قبولا في الأوساط العلمية اليوم هما: نظريتا: الانفجار العظيم، والانسحاق العظيم، وكلاهما يستند إلى عدد من الحقائق المشاهدة"[1].

والشاهد هنا أنه تحدث عن نظريات علمية مختلف فيها، وإن كان رجح نظريتي الانفجار العظيم، والانسحاق العظيم، وقرر في ثنايا كلامه أنهما تستندان إلى حقائق مشاهدة، وهذا غير متقرر؛ لأن علماء الفلك، والفيزياء الفلكية —من غير المسلمين– لا يقرّون بما في القرآن الكريم، فالقول ببقاء نظرياتهم هذه محل شك من منظور علومهم حجة عليهم، وأما من وجه نصوص القرآن، واحتمالاتها فهو متقرر، ولكن على صور غير التي قرروها، ففي القرآن يعتبر طي السماء، وكل ما يصاحبه من أحداث كونية، هو صورة من صور التحول، والانتقال إلى الحياة الآخرة، على خلاف ما يقررونه من أنه الفناء الذي لا حياة بعده، ومن هنا يتجلى ما يقع فيه بعض الباحثين في المجال العلمي المتعلق بالقرآن الكريم، والسنة النبوية، جراء تتبع النظريات، والفرضيات التجريبية، وتحميل نصوصهما ما لا تحتمله من المعاني.

(١) السماء في القرآن الكريم، د/ زغلول النجار: (ص:١٨٢).

الخاتمة

الحمد لله الذي بفضله، ومنّه، وعونه، وصلت إلى منتهى هذا البحث، وقبل رفع القلم وطي الصفحات، أحببت أن أدون أبرز ما توصلت إليه من النتائج، والتوصيات، والمقترحات، وهي كالتالي:

أولا: أهم النتائج:

١- إطلاق مصطلح التفسير العلمي على مدلولات ونتائج الأبحاث العلمية التجريبية من غير ضوابط يؤدي إلى نتائج عكسية ، لأن الدراسات في الغالب تعتمد في مصادرها على نظريات، وافتراضات ظنية، لا يمكن الجزم بصحتها.

٢- كانت تفسيرات المتقدمين، أكثر شمولا، واتساعا مما ذهب إليه أصحاب العلم التجريبي.

٣- حمل بعض الباحثين –المتأخرين- الآيات على غير وجهها، ومقصدها، وخالف السياق العام للآيات في السورة.

٤- بعض الدراسات، والتفسيرات العلمية خالفت الأحاديث الصريحة الصحيحة، كالأحاديث الدالة على قيام الساعة، وأماراتها، وأهوالها، وخالفت تفسير السلف.

ثانيا: أهم التوصيات والمقترحات:

وتوصي الباحثة بما يلي:

١- إجراء دراسة مقاصدية لمصطلح التفسير العلمي –التجريبي- وضبط أصوله وقواعده.

٢- جمع ودراسة نتائج الدراسات، والبحوث المقدمة في مجال التفسير العلمي التجريبي أو الإعجاز العلمي، ومقارنتها بظواهر النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية الصريحة الصحيحة.

٣- إقامة الدورات التأهيلية للعلماء الشرعيين، والمفسرين، وأهل الحديث في الجوانب العلمية التطبيقية المتعلقة بالآيات الكونية.

المراجع والمصادر

- **القرآن الكريم.**
- الآيات الكونية دراسة عقدية، عبد المجيد بن محمد الوعلان، رسالة ماجستير، الناشر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، ١٤٣٣هـ.
- البحر المحيط في التفسير، محمد بن يوسف بن علي، ابن حيان(ت:٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.
- البحر المسجور، واتساع قاع البحر، مجلة الهيئة العلمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بمكة، العدد (٢٧).
- البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر بن عبد الله، الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٩١ه.
- البيان في عدّ آي القرآن، عثمان بن سعيد، أبو عمرو الداني(ت:٤٤٤هـ)، تحقيق: غانم قدوري الحمد، الناشر: مركز المخطوطات والتراث، الكويت، ط١، ١٩٩٤م.
- تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن، والسنة، عبد المجيد بن عزيز، الزنداني، وآخرون، الناشر: دار المجد، صنعاء، ط٢، ٢٠٠٤م.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد، ابن عاشور(ت:١٣٩٣هـ) الناشر: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- التفسير البَسِيط، علي بن أحمد، الواحدي(ت:٤٦٨هـ)، تحقيق: مجموعة من الباحثين، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٣٠هـ.
- التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، د/ هند شلبي، الناشر: مطبعة تونس قرطاج، تونس، ط١، ١٤٠٦ه – ١٩٨٥م.
- تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد(ت:٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، ط٣، ١٤١٩هـ.

- تفسير الماتريدي(تأويلات أهل السنة)، محمد بن محمد، الماتريدي(ت:٣٣٣هـ) تحقيق: د/ مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٥م.
- تفسير الماوردي(النكت والعيون)، علي بن محمد، الماوردي(ت:٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.
- التفسير المنير في العقيدة، والشريعة، والمنهج، د/ وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر – دمشق، ط٢، ١٤١٨ه.
- تفسير عبد الرزاق، عبد الرزاق بن همام بن نافع(ت:٢١١هـ)الناشر: دار الكتب العلمية، تحقيق: د/ محمود محمد عبده، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٩هـ.
- تفسير مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر(ت:١٠٤هـ)، تحقيق: د/ محمد عبد السلام أبو النيل، الناشر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.
- تفسير مقاتل، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير(ت:١٥٠هـ)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.
- التفسير والمفسرون، د/ محمد حسين الذهبي، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة – مصر.
- تفسير يحيى بن سلام، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة(ت:٢٠٠هـ)، تقديم وتحقيق: د/ هند شلبي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد، الآملي، الطبري(ت:٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

- الجامع الكبير(سنن الترمذي)، محمد بن عيسى بن سَوْرة، الترمذي(ت:٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، ١٩٩٨م.
- الجامع لأحكام القرآن(تفسير القرطبي)، محمد بن أحمد، القرطبي(ت:٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢، ١٩٦٤م.
- الجواهر في تفسير القرآن العظيم، طنطاوي جوهري(ت:١٣٥٩ه)، الناشر، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، ١٣٤٧ه.
- حاشية مقدمة التفسير(المقدمة والحاشية كلاهما للشيخ: ابن قاسم رحمه الله)، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي(ت:١٣٩٢هـ)، ط٢، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.
- دروس للشيخ محمد الحسن الددو الشنقيطي، الملقب بـ"الددو" الشنقيطي، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.
- زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد، الجوزي(ت:٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
- السلسلة الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض(د.ت): (٦٣٩/٢).
- السماء في القرآن الكريم، د/ زغلول راغب محمد النجار، الناشر: دار المعرفة، بيروت–لبنان، ط٤، ١٤٢٨ه– ٢٠٠٧م.
- سنن الترمذي، محمد بن عيسى، أبو عيسى، الترمذي(ت:٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، الناشر : دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.
- سورة الواقعة، ومنهجها في العقائد(دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم)، الشيخ/ محمود غريب، الناشر: دار التراث العربي – القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

- صحيح الجامع الصغير وزياداته، محمد ناصر الدين، الألباني(ت:١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي، الشوكاني (ت:١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤ه.
- كتاب العين، الخليل بن أحمد، الفراهيدي(ت:١٧٠هـ)، تحقيق: د/ مهدي المخزومي، د/ إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.
- اللباب في علوم الكتاب، عمر بن علي بن عادل، النعماني(ت:٧٧٥هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
- لسان العرب، محمد بن مكرم، ابن منظور(ت:٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
- مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري(ت:٢٠٩هـ)، تحقيق: محمد فؤاد سزگين، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٨١هـ.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر بن سليمان، الهيثمي(ت:٨٠٧هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.
- محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد، القاسمي(ت:١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب، ابن عطية(ت:٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢٢ه.

- مختصر الشمائل المحمدية، محمد بن عيسى بن سَوْرة، الترمذي(ت:٢٧٩هـ)، اختصره وحققه: محمد ناصر الدين الألباني الناشر: المكتبة الإسلامية، عمان – الأردن.
- مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي في القرآن، والسنة المطهرة، د/ زغلول راغب محمد النجار، الناشر، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٣٠ه - ٢٠٠٩م.
- المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة(ت:١٤٠٣هـ)، الناشر: مكتبه السنة – القاهرة، ط٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله، الحاكم، ابن البيع(ت:٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٩٩٠م.
- مسند أبي يعلى، أحمد بن علي بن المثنى، أبو يعلى الموصلي(ت:٣٠٧)، طبعة دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن، تحقيق: إرشاد الحق الأثري، ط١، ٢٠٠٧م.
- مسند أحمد، أبو عبد الله، أحمد بن محمد بن حنبل(ت:٢٤١هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الحديث – القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- مشاهد يوم الدين كما صورته سورة التكوير، د/ السيد عبد الرؤوف إبراهيم، الناشر: المجلة العلمية لكلية أصول الدين والدعوة، جامعة الأزهر، الزقازيق، مصر، العدد(١٩)، ٢٠٠٧م.
- مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ(المَقْصِدُ الأَسْمَى في مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلمُسَمَّى) إبراهيم بن عمر بن حسن، البقاعي(ت:٨٨٥هـ)، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن، الحسين بن مسعود، البغوي(ت:٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

- معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري، أبو إسحاق الزجاج(ت:٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد، الطبراني(ت:٣٦٠ه)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٩٨٣م.
- مفاتيح الغيب(التفسير الكبير)، محمد بن عمر بن الحسن، الفخر الرازي(ت:٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.
- المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام، جمع وإعداد الباحث في القرآن والسنة، علي بن نايف الشحود.
- مفهوم الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة وآليته الدعوية، د/ صالح بن عبد القوي السنباني، الناشر: مجلة المنبر، الصادرة عن هيئة علماء السودان، العدد:(٢١)، ديسمبر، ٢٠١٤م.
- مقدمة في أصول التفسير، أحمد بن عبد الحليم، ابن تيمية(ت:٧٢٨هـ)، الناشر: دار مكتبة الحياة، بيروت- لبنان، ١٤٩٠هـ-١٩٨٠م.
- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم، الزُّرْقاني(ت:١٣٦٧هـ)، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣.
- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، يوسف الحاج أحمد، الناشر: مكتبة ابن حجر، دمشق، ط٢، ١٤٢٤ه-٢٠٠٣م.
- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، محمد راتب النابلسي، الناشر: دار المكتبي، دمشق، ط٢، ٢٠٠٥م.
- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن، وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، مكي بن أبي طالب، القيسي(ت:٤٣٧هـ)، تحقيق: مجموعة من الباحثين، الناشر: جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

المواقع الإلكترونية:

- الموسوعة الحرة، وكيبيديا:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%85%D8%B3

- الموسوعة الحرة، وكيبيديا:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%85%D8%B3

- موقع موضوع:

https://mawdoo3.com/%D9%85%D8%A7_%D9%87%D9%88_%D9%85%D9%81%D9%87%D9%88%D9%85_%D8%A7%D9%84%D8%AB%D9%82%D8%A8_%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B3%D9%88%D8%AF

- موقع: بيان الإسلام:

-

http://www.bayanelislam.net/Suspicion.aspx?id=04-01-0018